هذه المتغيرات على الخريطة السياسية هي أمر واقع، ويحسب لها حساب، وبالتالي لا بد من النظر اليها والتعامل معها على هذا الاساس. لذلك، ان مقولة «بالطا جديدة» بالمفهوم القديم، لم تعد واردة. بل الوارد هو «بالطا عالمية»، بالطا القوى الجديدة، والتوازنات الجديدة، التي فرضت ذاتها على أرض الواقع.

من هنا، لم يعد من الجائز ان تعمل القوتان العظميان على اقتسام العالم فيما بينهما. ولأنه لم يعد من الممكن، في الوقت ذاته، تجاهل المعطيات الجديدة، فاننا ننظر إلى الصورة بشمولية أكبر وبأبعاد اعمق. وهذا، في حد ذاته، يعطينا الأمل والثقة في تحقيق أهدافنا، كمنظمة وكمنطقة، أي كشعب فلسطيني وكأمة عربية.

منعطفات وتحولات حادة

[] في ظل المتغيرات المتواصلة في المنطقة العربية، كيف جرى التعامل العربي مع القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨، وفي المقابل كيف تعاملت م.ت.ف. مع تلك المتغيرات؟

ـ لكي نتمكن من توظيف المعطيات في سبيل قضيتنا، لا بدّ من النظر إلى تلك المتغيرات والتحولات كما ينبغي. في هذا المجال، أقول ان العلاقات العربية مرّت بمنعطفات عديدة ذات زوايا حادة، وجرت التحولات على النحو التالي:

التحول الأول حدث اثر النكبة العام ١٩٤٨، بتحميل مسؤولية سقوط جزء من الأراضي الفلسطينية لحكام تلك المرحلة العرب. وكان من نتائج هذا التحول تصفية اولئك الحكام، الواحد تلو الآخر، بانقلابات عسكرية. ومن نتائجه ايضاً، عادت المسألة الفلسطينية إلى التداول كشعار مرفوع، كشعار فقط، بينما بقيت الناحية التمثيلية مغفلة.

الثاني تمثل في معاودة النشاط الفدائي الفلسطيني ضد العدو، في مطلع الخمسينات، واستمراره وتطوره حتى «مرحلة السويس» (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧): اغلاق القناة، والحرب الثلاثية ضد مصر التي اعقبها استدعاء قوات الأمم المتحدة والسماح للسفن الاسرائيلية بالمرور من ايلات (شرم الشيخ). وقد استغلت اسرائيل هذا الممر للتسلل الى افريقيا، واستغلته الولايات المتحدة، ايضاً، لتطويق النفوذ الاوروبي في بعض الدول العربية، وذلك تمهيداً لتصفية ذلك الوجود في المنطقة برمتها. هنا تجدر الملاحظة ان الشعارات النارية التي كانت مرفوعة فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية قد اخمدت في تلك الفترة.

الثالث ظهر أواخر الخمسينات ـ بداية الستينات، أي مرحلة الناصرية، وبعث المسألة القومية، والتحرر، والخروج من الأحلاف، وبروز المحاور العربية بين راديكاليين تقدميين وبين رجعيين محافظين. هنا حدث تطوران: الأول هو الوحدة بين مصر وسوريا كمحور راديكالي تقدمي؛ والثاني الوحدة بين العراق والاردن كمحور رجعي محافظ. وكانت النتيجة، بالطبع، سقوط المحورين. الوحدة المصرية ـ السورية بالانفصال، والوحدة العراقية ـ الاردنية بسقوط الحكم العراقي بانقلاب عسكري. وعلى مدى تلك المرحلة وقعت مجريات، اهمها: (أ) العودة إلى رفع الشعارات النارية والمزايدات حول المسألة الفلسطينية بابعادها كافة بين المحورين القائمين، وتعميمها على الجماهير وعلى الاحزاب والتنظيمات التي كثرت؛ (ب) تفجر الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وتصاعدها في مد قومي كفاحي في ارجاء المنطقة بأسرها. ومع ذلك، بقيت القضية الفلسطينية بدون تمثيل، بل اصبح العمل الفلسطيني